

أعظم من الجميع

فخري السماء
كجلا

تشيتك
كجلا

السماوات
كجلا

أعين

اليوم

نحن أيضا للمؤمنين
ننزل لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد

أنا الذي
كجلا

كفافتنا
وأغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن
كجلا

متى صلَّيْتُمْ فقولوا...

الذي في السموات.

فَقَالَ لِي الْمَلِكُ: مَاذَا طَالِبُ أَنْتَ؟

فَصَلَّيْتُ إِلَى إِلَهِ السَّمَاءِ

(نحميا ٢: ٤).

عندما نصليّ ينبغي لنا أن نوجّه أفكارنا إلى الرب ونتذكّر أنه موجود في السماء. فعلى الرغم من أنه موجود في كل مكان. إذ هو كلّي الحضور. علينا عندما نصليّ أن نتذكّر أولاً أنه في السماء، وذلك لكي نتيقن الحقائق التالية:

أ. إنَّ أبانا السماوي هو الإله الأسمى: إنه غير محدود، وهو لا يتغيّر ولا يتبدّل وليس عرضة للظروف والأحداث كالإنسان. فالأمور التي يتّصف بها الإنسان الناجمة عن طبيعته ومحدوديته غير واردة عند الله. لذلك عندما نلتجئ إليه بالصلاة علينا أن نتذكّر أنه عالٍ جدًّا ويتسامى ومرتفع فوق جميع شرور العالم وفساده، فنقول له، «أبانا الذي في السماوات». كل ما في هذه الأرض زائل أمّا إلهنا فهو إلى الأبد ساكن في الأعالي، «الرَّبُّ عَالٍ فَوْقَ كُلِّ الْأُمَمِ. فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مَجْدُهُ. مَن مِثْلُ الرَّبِّ إِلَهِنَا السَّاكِنِ فِي الْأَعَالِي» (المزمور ١١٣: ٤ و٥).

رغم ذلك ورغم أنه يبقى دائماً وأبداً عالياً في السماء، فهو قريب من كل الذين يدعونه، «لأنّه هكذا قال العليّ المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه: «في الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأخي روح المتواضعين ولأخي قلب المنسحقين» (إشعياء ٥٧: ١٥). و«مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً» (أعمال الرسل ١٧: ٢٧).

أخلى الرب يسوع نفسه ونزل إلى عالمنا وأكمل عمل الفداء. لكنه لم يتخلَّ يوماً عن مسكنه الأبدي. «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يوحنا ٣: ١٣). إذًا نحن نصلي لمن هو أسمى وأعلى من كل البشر ومن كل مشاكلهم وخطاياهم، ولمن هو ساكن في نور يحتاج إليه جميع سكان هذه الأرض المظلمة.

ب. إِنَّ أَبَانَ السَّمَاوِي هُوَ الْإِلَهَ الْأَقْدَر: هو أقوى من الكل، فهو كَلِّي القدرة، ولا حد لقوته ولجبروته، ولا يعسر عليه أمر. يخبرنا المزمور ٩٣ أَنَّ الرَّبَّ لَبَسَ الْقُدْرَةَ وَإِئْتَرَزَ بِهَا، وَأَنَّ كُرْسِيَهُ مَثْبَتَةٌ مِنْذِ الْقَدَمِ. إِنَّ قُدْرَةَ إِلَهِنَا تَفُوقُ كُلَّ قُوَّةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. لا بل جميعها تخضع له، «الرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَهُ وَمَلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ» (المزمور ١٠٣: ١٩).

لا يوجد ما يَعْجِزُ أَبَانَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَصْنَعَهُ، «إِنَّ إِلَهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ» (المزمور ١١٥: ٣). ولا يوجد مكان يعجز أن يعمل فيه، وليس من قوة قادرة على أن تحده، «كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ فِي الْبِحَارِ وَفِي كُلِّ اللَّجِجِ» (المزمور ١٣٥: ٦). «وَحَسِبْتَ جَمِيعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ كَلًّا شَيْءًا وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الْأَرْضِ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟» (دانيال ٤: ٣٥).

أمرٌ جميل أن نلتجئ إلى شخص قادر على مساعدتنا ولا سيِّمًا إذا كان هو أبانا. فلو كان هذا الشخص يحبُّنا ويريد مساعدتنا ولكنه غير قادر، فمحبته المعلنة وإرادته الخيرة لن ينفعاننا شيئًا، لكن الأمر مختلف عندما نلتجئ إلى أبينا السماوي القادر أن يفعل أكثر مما نطلب أو نفتكر.

ج. إِنَّ أَبَانَ السَّمَاوِي هُوَ الْإِلَهَ الْكَلْبِي السَّلْطَانِ وَالسِّيَادَةِ: هُوَ لَا يَقِفُ عَلَى الْحِيَادِ وَلَا يَتَفَرَّجُ. «لَأَنَّآ بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكَ وَنُوجِدُ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٨). وَلَا يَأْخُذُ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا جَاهِ الْبَشَرِ بَلْ هُوَ مَتَسَلِّطٌ وَسَيِّدٌ وَيَعْمَلُ مَا يَحْسَنُ فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّ الْكُلَّ يَعْمَلُ بِأَمْرِهِ. «لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ» (رومية ١١: ٣٦). نَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ (مِنْهُ) كَمَا نَفْهَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَتَحَرَّكَ بِقُوَّةِ شَخْصٍ وَاحِدٍ (بِهِ) وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ وَاحِدٌ (لِأَجْلِهِ). فَيُمْكِنُكَ الْذَهَابُ إِلَى هَذَا الْأَبِّ بِثِقَةٍ إِذْ لَهُ السَّلْطَانُ وَالسِّيَادَةُ بِأَنَّ يَتَدَخَّلُ وَيَخْلُصُ عَائِلَتَكَ وَأَصْدِقَاءَكَ وَجِيرَانَكَ... الْكُلَّ يَعْمَلُ بِأَمْرِهِ. «مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ فَيَكُونُ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟» (مراثي إرميا ٣: ٣٧).

ما مدى تسلُّط الله على الأرض والأمم؟ أين حرّية الإنسان وخصوصًا الملوك والأشرار منهم؟ هل يقدرّون أن يقفوا بوجه مشيئة الرب؟ بعد خبرة طويلة صلّى داود هذه الكلمات. «لَكَ يَا

رَبُّ الْعَظَمَةِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْجَلَالِ وَالْبَهَاءِ وَالْمَجْدِ. لِأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ. وَقَدْ ارْتَفَعْتَ رَأْسًا عَلَى الْجَمِيعِ وَالْغِنَى وَالْكَرَامَةَ مِنْ لَدُنْكَ. وَأَنْتَ تَتَسَلَّطُ عَلَى الْجَمِيعِ» (الأخبار الأيام ٢٩: ١١ و ١٢).

ماذا كانت ردة فعل الرب تجاه المتمردين الذين ذكر عنهم في المزمور الثاني؟ هل خاف وارتجف؟ يقول الكتاب، «السَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ وَيَرْجِفُهُمْ بِغَيْظِهِ» (المزمور ٤: ٢). يضحك الرب ويستهزئ بهم. إنَّ أبانا الذي في السماوات هو أسمى وأقدر، متسلطٌ وضابطٌ لكل. يضحك على جميع من يحاول مقاومته أو الإستقلال عن سيادته وسلطانه.

فعندما جمع هاتين العبارتين «أبانا» و«الذي في السموات»، وعندما ندرسهما نرى مدى ارتباطهما، وتتضح لنا حقيقة جوهرية وهي أنَّ لنا نحن أولاد لله ثقة بالدخول ورجاء بالوصول. إن كان هذا الإله عاليًا جدًا وقديرًا وكبيرًا ومتسلطًا، ولكنه لم يكن «أبانا» لتعقّد الأمور. فكونه أبانا يعطينا الطمأنينة والثقة للتقدّم إليه، متيقنين أنه لن يتخلى عنّا، بل سيهبنا مع يسوع كل شيء، «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبِنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رومية ٨: ٣٢).

قد نخاف من شخص قوي متسلط لكن هذا الخوف سرعان ما يتبدد إذا كان هذا الشخص هو أبونا الحنون المحب. «فَلَنْتَقَدَّمَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ» (عبرانيين ٤: ١٦).

كتب يوحنا بنيان في كتاب عنوانه «الصلاة» عن مفهومه لعنى عرش النعمة:

«عرش النعمة هذا هو طبيعة يسوع المسيح الإنسان الكامل أو هو قلب يسوع المسيح ونفسه حيث يجلس ويسر الله إلى الأبد في علاقة المحبة بالمؤمنين به. لأن كل ما عمله المسيح في جسد بشريته عندما كان على هذه الأرض إما عمله من أجلهم ليصالحهم مع الآب. «وَأَجْعَلُ مِفْتَاحَ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَى كَتِفِهِ فَيَفْتَحُ وَلَيْسَ مَنْ يُغْلِقُ وَيُغْلِقُ وَلَيْسَ مَنْ يَفْتَحُ. وَأُثْبِتُهُ وَتَدَا فِي مَوْضِعِ أَمِينٍ وَيَكُونُ كُرْسِيِّ مَجْدٍ لِبَيْتِ أَبِيهِ» (إشعيا ٢٢: ٢٢). كرسي مجد بيت أبيه أي أنهم يأتون بواسطته إلى بيت أبيهم ولهذا السبب فهم دائما وأبدا يجدونه. أو كما يقول الوحي في مكان آخر. «أَيَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ. غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ. وَوَضِعًا فِيْنَا كَلِمَةَ الْمُصَالِحَةِ» (٢كورونثوس ٥: ١٩). فإن وضعنا جانبًا أو أهملنا الطبيعة الإنسانية للمسيح فليس بإمكاننا أن نجد أي عرش للنعمة على الأرض أو في السماء. إذ عندها لا يبقى ثمّة من يرتاح الله فيه ويسرُّ.

”...هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ“ (متى ١٧:٣).

هذا الإله الذي تبنّاني، هو نفسه الإله المتعالى الساكن في السموات، والذي يهبني ثقة ورجاء بالوصول إليه، إذ إنّ في بيته منازل كثيرة، ولا بدّ لنا، نحن أبناءه، أن نذهب إليه نهاية المطاف.

يجب أن لا نرتبك ونحتار كما فعل فيلبّس، إذ على الرغم من معيّنته للمسيح مدّة طويلة، قال له، ”أرنا الآب وكفانا.“ ولا نحاول أن نبحث عن هذا الآب بهذه الطريقة، لأنّ الربّ يسوع هو، الله الذي ظهر في الجسد. وهو مَنْ قَرَّبَ لنا المسافة ووضّح لنا هويّته، إذ قال لفيلبّس ”مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الآب“. إنه وحده رسم جوهر الآب وصورته غير المنظورة، وكما كتب يوحنا البشير في إنجيله، ”اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ“ (يوحنا ١:١٨).

أبانا السماوي الأسمى والأفدر والمتسلّط في سمائه العالية، الأعظم من الجميع، قريب جدًّا بالمسيح يسوع عندما ندعوه.